القراءات المروية في إدغام الضّاد في غير الطّاء والشين

تقدّمت الإشارة إلى إجماع المتقدّمين على امتناع إدغام الضّاد في غير مثلها، ما خلا الطّاء والشّين على خلاف فيهما.

ولم يَعْرِض المُتَقدّمون في باب الإدغام لمروياتٍ في القِراءات القُرآنيّة اشتملت على إدغام الضّاد في أحرف أُخرى هي التّاء والذّال والجيم والزّاء. وفي صنيعهم هذا من الغرابة ما فيه، وفيما يأتي عَرْضٌ لمواضع هذه المرويات في كتاب الله الكريم.

١ - إدغام الضّاد في الذّال:

تقدّم أنّ هذا الإدغام مُمْتَنع عند المتقدّمين، غيرَ أنّ ما منعوه جاء في الآيات القرآنيّة في أربعة مواضع:

- قوله تعالى: ﴿مِلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ سورة آل عمران ٣/ ٩١ .
- قوله تعالى: ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ سورة المائدة ٥/ ٤٩ .
- قوله تعالى: ﴿ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ سورة الملك ٦٧/ ١٥ .
- قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ سورة الطارق ٨٦/ ١٢.

أما الآية الأولى: ﴿ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا﴾ فقد ذكر ابن غلبون[١٧٨] أنّ أبا عَمرو أَدْغَم الضّاد في الذّال، ثُمّ ذَكَر أنّ راوي هذا الإدغام القاسم بن عبدالوارث عن اليزيدي عن أبي عمرو.

وأما الآية الثانية: ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ فقد[١٧٩] حَكَى عبدالوارث عن أبي عمرو، وكذا اليزيدي عنه أنّه أدغم الضّاد في الذّال.

وكذا جاء الخبر في الرِّواية في الآيتين الأُخريين[١٨٠].

٢ - إدغام الضّاد في التّاء:

منعَ المتقدِّمون إدغام الضّاد في التّاء لاختلاف المَخْرَج بينهما، والصِّفات اللّازمة لكلٍّ منهما، غيرَ أنّ ما منعوا منه جاء في القراءة القُرآنيّة، ومن الغريب في الأمر أن صورة هذا الإدغام انفرد بها ابن محيصن، كالذي تقدّم في «اضطر» ومن ذلك قوله تعالى[١٨١]:

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾.

فقد قرأ ابن محيصن[١٨٢] بإدغام الضّاد في تاء المُتكلِّم مع التشديد، والإبقاء على الإطباق، كذا قالوا.

وجاءت الرواية عن ابن محيصن في ثلاثة مواضع أخرى وهي:

- قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ . . .﴾[١٨٣].

- قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[١٨٤].

- قوله تعالى: ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١٨٥].

فقد ذَكَر صاحبُ الإتْحاف[١٨٦] أنّ ابن محيصن انفرد بإدغامِ الضّاد في التّاء في الفعلين في ثلاث الآيات: أفضتم - أقرضتم، وصورة القراءة فيهما: أَفَتُّم - أقرتُّم.

ومع هذا الإدغام فإنك بالخيار إن شئت أبقيت صفة الإطباق، وإن شئت تركتها، ويبدو لك ذلك قُبيل التصويت بالتّاء المشدّة الجامعة للحرفين، والتفخيم الذي يُلازم هذا، وهو ما يعطي السّامع والقارئ سواء بسواء إحساساً

بصفة الحرف الأوّل - الضاد - الملازمة له مع فنائه في الثّاني وهو التاء.

٣ - إدغام الضّاد في الجيم:

لم يذكر المتقدّمون جواز مثل هذا الإدغام، ولكن ما لم يذكروه جاء مرويّاً في القراءة عن أبي عمرو بن العلاء من طريق اليزيدي، وذلك في قوله تعالى[١٨٧]:

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾.

٤ - إدغام الضّاد في الزّاي:

وهذه صورة من صور الإدغام الممتنعة عند المتقدّمين لاختلاف المَخْرَج والصّفات[١٨٨]، ولكن هذا الإدغام وقَعَ في قوله تعالى[١٨٩]: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾، فقد أَدْغَمَ[١٩٠] أبو عمرو الضّاد في الزّاي، وراوي ذلك عنه هو اليزيدي.

وليس من النّصَفة السكوت عن هذه القراءات المرويّة المنقولة بالمشافهة والتلقي عمّن شُهِد له بالفصاحة، وإخراجها من مجال الدّرْس والنّظَر؛ ذلك أنّ اعتبارها مع غيرها شرط لكمال فحص الظاهرة استنباط القوانين الحاكِمَة عليها، وبذلك ينفتح باب التحليل والتفسير، كما تتجلّى خصوصية الضّاد في العربية في ضوء القراءات القُرآنية، واشتباك علائقها بغيرها من سائر الحروف إدغاماً وإظهاراً، ولاستظهار ما آل إليه أمرها في الأداء القرآني المُعاصر، وذلكم هو موضوع المبحث الخاتم من هذه الدراسة.